اللغة الكنعانية

وأثرها في الساميات

أستاذ المادة

الأستاذ الدكتور: حميد الفتلي

إعداد الطالب

عبد الرحمن إسماعيل التميميّ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أتم الكلام ما بدأ بحمد الله الذي لولاه ما جرى قلم ولا تكلم إنسان ولا فصح لسان ولا تم بيان، والصلاة والسلام على سيد الأنام وآله محمد المصطفى، أفصح الناس لسانا وأتمهم بيانا، وبعد...

فمن دواعي سروري أن أكَلف ببحث عن اللغة الكنعانية من قبل أستاذي الدكتور حميد الفتلي، وقد وجدته موضوعا رائعا، فترنم أيها القلم وأمتطي قيثارة الفكر متجولا في حدائق الألفاظ، وأقتطف من الكلمات أحلاها ومن العبارات أتمها، ومن الجمل أبلغها، ثمّ زينها بأروع الحركات وأجمل النغمات.

وسأقف في بحثي هذا على أمور عدة، فلابد لنا أن نقف على الكنعانيين ونعرف من همّ، وأين سكنوا، وفي أي زمن، وما أصلهم، وأهم ما وصل عنهم، ثمّ نختتم كلامنا بأهم سمات هذه اللغة وما تشترك به مع اللغة العربية.

وفي النهاية لا أملك إلا شكر أستاذي الدكتور حميد الفتلي، الذي منحني هذه الفرصة، وأقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع، ولعلي قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وأخيرا ما أنا إلا بشر أخطئ وقد أصيب، فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي على خطأي، وإن كنت قد أصبت فهذا ما أرجوه من الله عز وجل.

من هم الكنعانيون:

يجب علينا أولا أن نبين أصل كلمة (كنعان)، وتتبع هذه الكلمة من عدة مسميات:

١- **الاسم الكنعاني**: استعمل الكنعانيون هذه الكلمة للدلالة عليهم في بعض الأحيان، يؤيد هذا نص الملك أدريمي ملك الالاخ وهي مملكة كنعانية.
٢- **الاسم الأكدي**: يعرض بعض المؤرخين أنه ربما كان الاسم الأكدي (كناجي أو كناخني) الذي أطلقه البابليون عليهم والذي ظهر في رسائل(تل العمرانية) في مصر هو أصل هذه التسمية، وتعني: (اللون الأحمر الأرجواني).

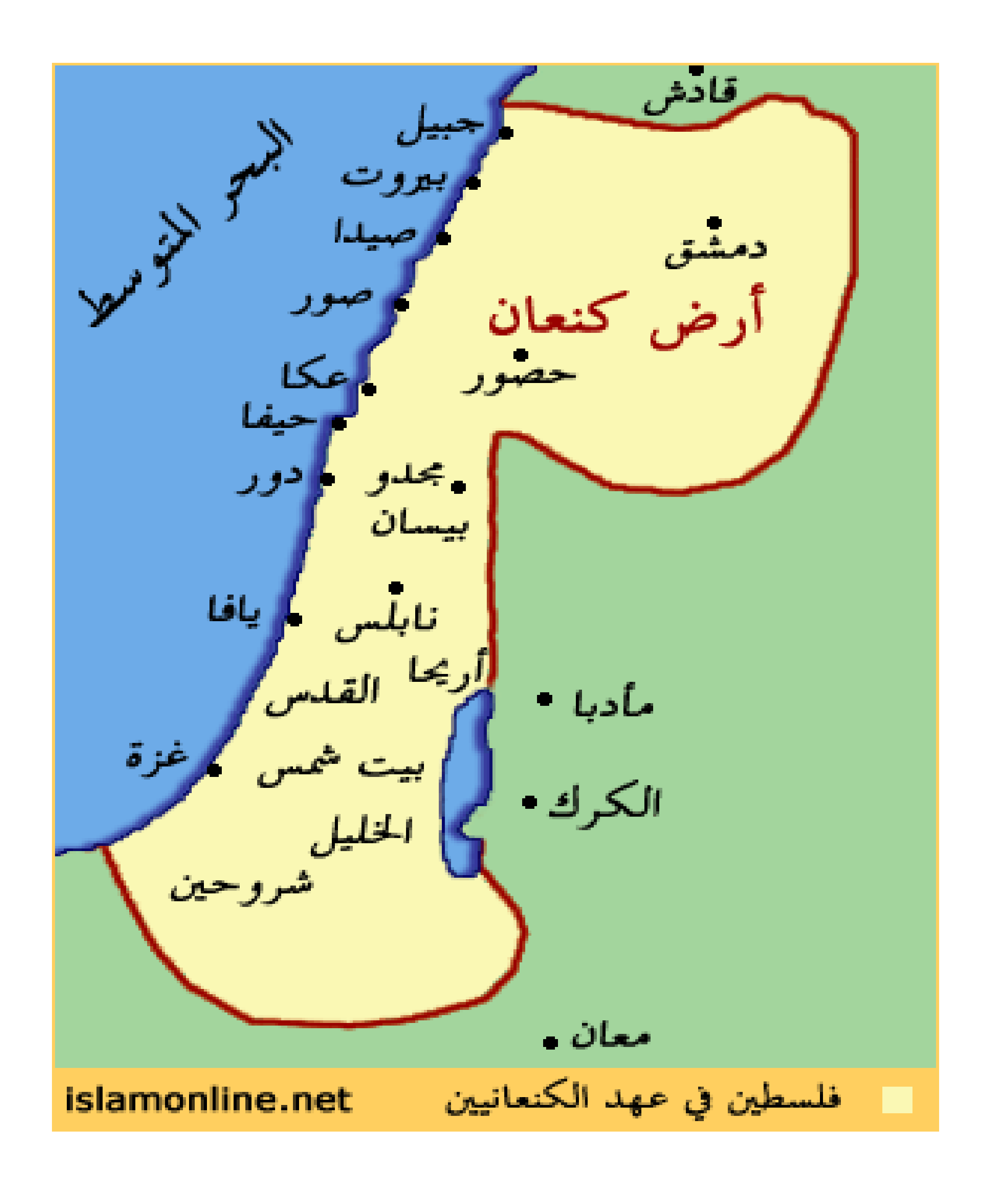
وللفظة كنعان أسماء عدة، لكن هذه الأسماء ما يتفق عليها الباحثون، قال الدكتور خزعل الماجدي: ((إن اسم كنعان كان قديما وكان يدل على شيئين هما: الشعب الذي سكن الأرض المنخفضة، أو الذي كان مرتبطاً باللون الأحمر الأرجواني))[١].

ومن هنا فإن اعتقاد الكثيرين أن تسمية(كنعان) و(كنعانيون) وردت في التوراة فقط، أو هي أقدم ما وصل، وكرسها اليهود للدلالة على أرض فلسطين وشعبها، ثم أصبحت تشير إلى الأقوام التي سكنت بلاد الشام قبل ظهور العبريين والآراميين، وهذا الاعتقاد خاطئ تماماً لأن تسمية كنعان ظهرت قبل ذلك بكثير وفي المدونات الآثارية للمنطقة، وحين جاء اليونان ترجموا معنى اسم كنعان(أي الأرجوان) وأطلقوا على أرض وشعب كنعان فينيق[٢].

---

[١] المعتقدات الكنعانية: ١٣- ١٤.
[٢] ينظر: الآلهة الكنعانية: ١٣- ١٤.

ونزح الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية قبل ٢٥٠٠ سنة ق م، إلى بلاد سوريا وفلسطين، ولم يثبت في التأريخ سبب نزوحهم وهجرتهم، ولعلها أحد أسباب الهجرة السياسية أو البيئية[١]، والشكل الآتي يوضح أرض كنعان من الناحية الجغرافية، وهي مشتركة بين سوريا (دمشق) وفلسطين.



---

[١] ينظر: تاريخ اللغات السامية: ٥٤، والمعتقدات الكنعانية: ١١.

ويعتقد الكنعانيون أن آلهتهم تسكن الأرض على قمم الجبال ورؤوس الأشجار وفي أعماق الآبار[١].

أصل اللغة الكنعانية

إن أقدم آثار اللغة الكنعانية ألفاظ واصطلاحات وردت في رسائل مسمارية موجهة من بعض الأمراء الكنعانيين في نواحي فلسطين إلى الملك (آمون حوطف) المصري في القرن الرابع عشر ق م، وهذه الرسائل مكتوبة باللغة البابلية ومشوبة ببعض الكلمات الكنعانية، ويستدل من هذه الألفاظ الكنعانية على أنها تشبه مادة اللغة العبرية شبها كبيرا[٢].

كان بين اللغة الكنعانية واللغة البابلية قرب عظيم وشبه شديد، وسبب ذلك القرب الكبير بين هاتين اللغتين يرجع قبل كل شيء إلى تلك العلاقات المتينة والتأثير الشديد الذي كان متبادلا منذ أقدم الأزمنة بين العراق(موطن البابلية)، وسوريا(موطن الكنعانية)[٣].

يقول ولفنسون: ((فالكنعانيون هم الذين اخترعوا السفينة واهتدوا إلى عمل الزجاج ووضعوا نظام الحساب وهم الذين اخترعوا أبجدية الكتابة المختزلة بالنسبة للخط المسماري والهيروغليفي فلا غرو أن أصبح الخط الكنعاني أساساً لجميع خطوط العالم الممتد في الشرق والغرب))[٤].

---

[١] ينظر: تاريخ اللغات السامية: ٥٢.
[٢] ينظر: تاريخ اللغات السامية: ٦٠.
[٣] ينظر: تاريخ اللغات السامية: ٥١.
[٤] تاريخ اللغات السامية: ٥٢.

ومع ذلك لا نجدهم يهتمون بالتدوين، فلم يصل شيء عن أخبار زراعتهم أو تجارتهم أو أخبار الحساب والحروب، بخلاف الساميين الذين اعتنوا بالتدوين، وأرى أنه من الممكن أنهم قد دونوا شيئا ولكن لم يصل إلينا، فمن غير المعقول حضارة عريقة ومشهورة ولم يقوموا بتدوين أي شيء.

وهذا ما يعرف عند أهل اللغات بـ (موت اللغات)، يقول لويس كالفي: لا يستغرب أحد فكرة(موت اللغات)، فاللغة الميتة هي اللغة التي لم يعد الناس يتحدثون بها، مما يجعلها لغة منعدمة غير مستخدمة[1].

وأسباب اندثار اللغات ثلاثة[2]:

١- الغياب بالتحول: أي التحول الجغرافي وغيره.
٢- الغياب بالانقراض: وهو الغياب بموت جميع من يتحدث بهذه اللغة.
٣- الغياب بالاستبدال:ويحدث هذا الغياب نتيجة وجود لغة أخرى قد هيمنت على اللغة المندثرة.

وأقول: أن اندثار اللغة الكنعانية واقع بين السبب الثاني والثالث، والثالث أقرب؛ لما ورد من أن الكنعانيين كانوا يستخدمون اللغة البابلية في رسائلهم ومخاطباتهم الرسمية.

وربَّ سؤال يطرح، إذن كيف تم التعرف على هذه اللغة وأقسامها وموطنها إذا لم يصل منها شيء؟

---

[1] ينظر: حرب اللغات: ١٩٩.
[2] ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٤.

يقول ولفنسون: ((ولولا عناية الأمم الأخرى من اليهود والإغريق والرومان بقص أخبار الكنعانيين وجمع المعلومات الكثيرة عنهم لقذف التأريخ بالكنعانيين في زوايا الإهمال والنسيان ولما أمكننا أن نعرف عن هذا الشعب العظيم وحضارته الزاهرة كثيرا ولا قليلا))[١].

فقد ورد في سفر التكوين الإصحاح العاشر العدد التاسع عشر: ((وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة، وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع))[٢].

وفي رأي جديد لولفنسون: ((أن الكنعانيين والعبريين والآراميين إنما هم فروع لأصل واحد مشترك بينهم جميعاً، ولا يمكن أن يقال إن هذه اللغة متفرعة عن الأخرى استناداً إلى قوة الشبه بينها إلا إذا ثبت بأدلة أخرى أن العبرانيين قد اقتبسوا لغتهم من اللغة الكنعانية وأما شدة القرب بين اللغتين فلا يمكن أن تدل إلا على شيء واحد هو أن اللغتين في الواقع لغة واحدة))[٣].

وفيما يلي جدولا بالحروف الأبجدية الكنعانية:



[١] تاريخ اللغات السامية: ٥٢.
[٢] المعتقدات الكنعانية: ٩.
[٣] تاريخ اللغات السامية: ٥٤- ٥٥.

وتنقسم اللغة الكنعانية إلى:

١- **الكنعانية الشمالية:** وتمثل اللغة (الأوجارتية) وهي لهجة كنعانية قديمة، نسبة إلى منطقة(اوجاريت) وهي مدينة تقع على بعد ١٢ كيلو مترا في شمال اللاذقية، وتم اكتشافها في عام ١٩٢٩م[١].

٢- **الكنعانية الجنوبية:** وتشمل:

أ- **(اللغة العبرية)**: ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن أقدم نص موجود لها في التوراة (العهد القديم)، وهي أسفار موسى الخمسة: (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية)[٢]، ولن نتوسع في اللغة العبرية مع إنها أحد أقسام اللغة الكنعانية لبحث زميلي محمد فيها.

ب- **(خطابات تل العمارنة):** وهي خطابات وجدت في تل العمارنة، وترجع إلى ما عام ١٤٢٥- ١٣٥٠ ق م، أرسل بها أمراء سوريا وفلسطين إلى فراعنة مصر في ذلك الوقت، لكنها مكتوبة في اللغة الآشورية وفيها تعليقات باللغة الكنعانية[٣].

يقول الأستاذ الدكتور حميد الفتلي: هذا دليل على أن الكنعانيين كانوا يستعملون اللغة الآشورية في خطاباتهم الرسمية، ولم يستعملوا لغتهم الكنعانية.

---

[١] ينظر: فصول في فقه اللغة العربية: ٢٧.

[٢] ينظر:إبدال الحروف في اللهجات العربية: ٣٣، و فصول في فقه اللغة العربية: ٢٨.

[٣] ينظر: فصول في فقه اللغة العربية: ٣٠، والساميون ولغاتهم: ٤٨.

ت-**(اللغة المؤابية):** ويمثلها النقش المعروف بنقش: (ميشع) ملك مؤاب، وهو عبارة عن نصب عثر عليه في عام ١٨٦٨م في (ديبان)[١] بأرض مؤاب القديمة، ويرجع هذا النقش إلى سنة ٨٤٢ ق م، وهو محفوظ في متحف اللوفر[٢].

ث-**(اللغة الفينيقية):** وقد وصلت إلينا في عدة نقوش، مثل نقش(شافط بعل) من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ونقش: (اخيرام) ١١٠٠ ق م، ونقش (أخيميلك) ١٠٠٠ ق م، وأهم نقش دون بهذه اللغة نقش: (كلمو) ٩٠٠ ق م، وهو أحد أمراء (سمأل) وقد اكتشف في سوريا، ومحفوظ في متحف برلين[٣].

---

[١] ديبان أو ذيبان: هي احدى القرى الأردنية التاريخية التي تتبع لواء ذيبان ،إحدى الوية محافظة مادبا في وسط المملكة الأردنية الهاشمية .تبعد نحو ٧٠ كم جنوب العاصمة عمّان وأربعة كيلو مترات إلى الشمال من وادي الموجب، شرق البحر الميت، (وكيبيديا).

[٢] ينظر: فصول في فقه اللغة العربية: ٣١، وإبدال الحروف في اللهجات العربية: ٣٢.

[٣] ينظر: اللغات السامية: ٤٣، وتاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية: ٤٣.

سمات اللغة الكنعانية:

كما أشرنا سابقا إلى عدم وصول نصوص كافية لتحديد اللغة الكنعانية ومعرفة خصائصها، لكن من الآثار القليلة التي وصلت إلينا استطاع العلماء أن يبينوا بعض من خصائص هذه اللغة، منها:

١- من أهم مميزات اللغة الكنعانية وما تشترك به مع اللغة العربية هي الكتابة، فقد احتلت نقوش (رأس شمرة)، التي عثر عليها في عام ١٩٢٨م على بعد ١٣ كم شمال اللاذقية، خاصية مهمة في تاريخ الكتابة، فهي تحدد مرحلة انتقال من الكتابة المقطعية إلى الكتابة الأبجدية، في داخل طريقة واحدة هي الخط المسماري المنقوش على ألواح من الطين[١].

٢- اهتمام اللغة الكنعانية بما يعرف (بأدب الملاحم) وهو موجود في اللغة العربية، فالنقوش الكنعانية الأوجاريتية أكثرها ملاحم، منها ما يروي قصص الإله (بعل)، أو الآلهة (عنات) أخته، أو (أقهات) أو الملك(كيرت) أو ملحمة (دانل)، وقد عكف العلماء على هذه النقوش يدريونها لغويا ودينيا وتاريخيا، وخصوصا بين ما ورد فيها وما جاء في الكتاب المقدس، ومن خلال هذه النقوش تأكد العلماء على أن هناك صلة كبيرة بين اللغة الكنعانية واللغة العبرية[٢].

٣- من خلال التعليقات التي وقفوا عليها في الرسائل المكتوبة بالخط المسماري، والموجه إلى ملوك مصر وجدوا حركات للغة الكنعانية، وهي إمالة الحركة القديمة (a) إلى (o) أو (u)، - يمكن أن نفسرها في اللغة العربية إمالة حروف العلة- وهذا الأمر حدث مرة أخرى بعد

[١] ينظر: الساميون ولغاتهم: ٥٠.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٥٠.

قرون عديدة، في نفس المكان في اللغة الآرامية الغربية، ويرجح (بريتوريوس) إلى أنها عادة صوتية لدى سكان البلاد السابقين قبل الساميين[١].

٤- أما من ناحية الخصائص النحوية والأسلوبية التي تتميز بها اللهجة الكنعانية فهي اللغة العبرية التي هي فرع عنها، غير أنها تشذ عنها في أمر واحد وهو بناء الفعل الانعكاسي من المجرد، بزيادة التاء بعد فاء الفعل، الأمر الذي لا تعرفه فيما عدا ذلك من اللغات السامية إلا اللغة العربية[٢].

٥- أما من الناحية الصوتية فجميع ما وصل من نقوش وكتابات لا تظهر فيه إلا أصواتاً صامتة، ولا وجود لصوائت فيها[٣].

٦- ومن ناحية الإعراب ونظام الجملة، فقد خلت هذه اللغة من سمة الإعراب، فلا وجود لأي علامة إعرابية فيها، إلا في اللغة العبرية[٤].

وسبب خلو هذه اللغة من ظاهرة الإعراب كما يقول الدكتور حسن ظاظا: أن اللغة الكنعانية قد بدأت بلهجات مبسطة وسهلة، فأصبحت لغة موقوفة، أي لا تتغير أواخر الألفاظ فيها بتغير التراكيب[٥].

---

[١] ينظر: فقه اللغات السامية: ١٧- ١٨.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ١٨.
[٣] ينظر: المصدر نفسه: ١٨.
[٤] ينظر: فقه اللغات السامية: ٢١.
[٥] ينظر: الساميون ولغاتهم: ٤٧.

المصادر والمراجع:

١- إبدال الحروف في اللهجات العربية: د. سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط١ ،١٤١٥ هـ ،١٩٩٥ م.

٢- أصول في فقه اللغة العربية: د. رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، ط ٢.

٣- الآلهة الكنعانية: خزعل الماجدي، الناشر: دار أزمنه- عمان، ط١، ١٩٩٩.

٤- تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية: جان مازيل، ترجمة: ربا الخش، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٨م.

٥- تاريخ اللغات السامية: ولفنسون، الناشر: دار القلم – بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.

٦- حرب اللغات والسياسات اللغوية: لويس جان كالفي، ترجمة: د. حسن حمزة، الناشر: المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.

٧- الساميون ولغاتهم: الدكتور: حسن ظاظا، الناشر: دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٨- فقه اللغات السامية: كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، الناشر: جامعة الرياض، ١٩٧٧.

٩- اللغات السامية. تيودور نولدكه، ترجمة: دكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة دار النهضة.

١٠- المعتقدات الكنعانية: خزعل الماجدي، الناشر: دار الشروق- عمان، ط ١، ٢٠٠١.